

أوروك - الوركاء

أوروك باللغة السومرية UNUG:، بالأكدية: (أوروك، بالأرامية: إيرخ، بالعبرية: إيرخ)، كانت مدينة قديمة من حضارة سومر، ثم بابل لاحقاً، وتقع شرق المجرى الحالي لنهر الفرات، على القناة الجافة القديمة للنهر، على بعد حوالي 30 كم شرق مدينة السماوة الحديثة، بمحافظة المتنى بالعراق.

حصلت أوروك على اسمها من الحقبة التي سُميت باسمها، "فترة أوروك"، التي امتدت من العصر الحجري النحاسي البدائي إلى العصر البرونزي المبكر، وذلك في تاريخ حضارة بلاد الرافدين من حوالي 4000 قبل الميلاد إلى 3100 قبل الميلاد، وتلاها عصر جمدة نصر الخاص بسومر. لعبت أوروك دوراً محورياً في نشوء أول مراكز الحضارة الحضورية لسومر في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد. وفي ذروتها حوالي عام 2900 قبل الميلاد، يُعتقد أن عدد سكانها تراوح ما بين 50,000 و80,000 نسمة، يعيشون ضمن مساحة محاطة بأسوار تبلغ 6 كيلومتر مربع، مما جعلها أكبر مدينة على الأرض في تلك الفترة. وفقاً لقائمة ملوك سومر، حكم الملك شبه الأسطوري جلامش مدينة أوروك في القرن السابع والعشرين قبل الميلاد.

فقدت المدينة أهميتها القصوى حوالي عام 2000 قبل الميلاد، أثناء الصراع الذي دار بين بابل وويلام، ولكنها حافظت على سكنها طوال العصرين السلوقي والبارثي، حتى تم التخلي عنها أخيراً قبل أو بعد الفتح الإسلامي بقليل.

تم اكتشاف موقع أوروك عام 1849 على يد ويليام كينيت لوفتوس، الذي قاد أول عمليات التنقيب من عام 1850 إلى عام 1854. يُعتقد أن الاسم العربي لبلاد بابل، "العراق"، مشتق من اسم أوروك، عبر اللغة الأرامية ("إيرخ")، وربما عبر الفارسية الوسطى ("إيراق").

الأهمية

في الأدب والأساطير، كانت أوروك مشهورة كعاصمة الملك جلامش، بطل ملحمة جلامش، كما يُعتقد أن أوروك هي "إيرخ" التوراتية (سفر التكوين 10:10)، ثاني مدينة أسسها نمرود في أرض شنعار.

بالإضافة لكونها من أولى المدن، كانت أوروك المحرك الرئيسي لظاهرة التمدن الحضري أثناء فترة أوروك (4000-3200 قبل الميلاد). شهدت هذه الفترة التي امتدت على 800 عام تحولاً من القرى الزراعية الصغيرة إلى مراكز حضرية كبيرة تحتوي على جهاز بيروقراطي، وجيش، ومجتمع طبقي. وعلى الرغم من تعايش مستوطنات أخرى معها، كانت عادةً أصغر، حوالي 10 هكتارات، بينما كانت أوروك أكبر بكثير وأكثر تعقيداً. صدرت حضارة فترة أوروك تأثيرها عبر التجار والمستعمرين السومريين إلى سائر الشعوب المحيطة، التي تبنت تدريجياً اقتصادياتها وثقافتها، مما أدى إلى ظهور مراكز حضرية منافسة. على الرغم من هذا، لم تتمكن أوروك من السيطرة عسكرياً على المستعمرات البعيدة، مثل "تل براك".

ساعد الموقع الجغرافي على نمو أوروك بشكل غير مسبوق، حيث كانت المدينة قائمة على نهر الفرات جنوب بلاد الرافدين، مهد الحضارات القديمة. بفضل التدجين التدريجي للحبوب المحلية من سفوح جبال زاغروس، وتقنيات الري الواسعة، أصبحت المنطقة قادرة على دعم أنواع واسعة من المزارع. ساعد هذا على تحول أوروك إلى أكبر مستوطنة سومرية من ناحية السكان والمساحة.

ساعد الفائض الزراعي الكبير، وقاعدة سكانية ضخمة، على تطوير عمليات عدة، منها التجارة، وتنظيم الحرف، وتطور الكتابة. تؤكد الأدلة المستخرجة من التنقيبات، مثل الفخاريات الواسعة، وأقدم الألواح الكتابية المعروفة، على هذه الحقائق. وتتميز عمليات التنقيب عن أوروك بتعقيدها الكبير، حيث بُنيت المباني الأحدث على أنقاض المباني الأقدم، مما أدى إلى تداخل طبقات الفترات التاريخية المختلفة. وتنتمي الطبقة العليا على الأرجح إلى عصر جمدة نصر (3100-2900 قبل الميلاد)، وتقع على طبقات من فترة العبيد.

التاريخ

بحسب الأساطير، تأسست أوروك على يد الملك إنميركار، الذي جلب السلطة الملكية الرسمية إليها، وفقاً لقائمة ملوك سومر. كما ذُكر في الملحمة السومرية "إنميركار وسيد أراتا"، أنّ إنميركار بنى "بيت السماء" (باللغة السومرية-E2 : ANNA) للإلهة إنانا، وذلك ضمن حي إي-آنا في أوروك. وفي ملحمة جلجامش، ذُكر أنّ الملك جلجامش بنى سوراً حول المدينة وحكمها.

مرت أوروك بعدة مراحل نمو، من فترة أوروك المبكرة (4000-3500 قبل الميلاد) إلى فترة أوروك المتأخرة (3500-3100 قبل الميلاد). تشكّلت المدينة عند اندماج مستوطنتين أصغر من عصر العبيد، حيث أصبحت مراكز المعابد التي تحتويها حي إي-آنا، المخصص للإلهة إنانا، وحي أنو، المخصص للإله أنو. كان حي أنو يُطلق عليه قبل الاندماج اسم "كولابا" (أو أونوغ-كولابا)، ويرجع تاريخه إلى عصر إريدو، حيث اعتُبر من أقدم وأهم مدن سومر.

على الرغم من تعدد التفسيرات حول دور هذه المعابد، يُعتقد بشكل عام أنّها كانت عنصراً موحداً للمدينة، حيث أدت دوراً دينياً، وكذلك دوراً سياسياً وحكومياً مهماً. تؤكد أرسيفات المعابد من العصر البابلي الحديث على دورها الاجتماعي كمراكز لإعادة التوزيع.

كان حي إي-آنا مكوناً من عدة مبانٍ تحتوي على مساحات مخصصة للحرف، محاطة بأسوار تفصلها عن بقية المدينة. على النقيض من ذلك، بُني حي أنو على مصطبة عالية، تحتوي على معبد على قمته. من الواضح أنّ حي إي-آنا كُرس للإلهة إنانا منذ أقدم عصور أوروك، وخلال تاريخ المدينة بأكمله. كانت بقية المدينة مكونة من منازل ذات أفنية، يتم توزيعها وفقاً لمهن السكان، وتتمركز حول حي إي-آنا وأنو. تميّزت أوروك بنظام قنوات مائية كثيفة، وصف بأنها "البندقية في الصحراء"، حيث كانت تتصل بنهر الفرات، مما أتاح التواصل التجاري البحري، وكذلك الري للمنطقة الزراعية المحيطة. الجدير بالذكر أنّ الموقع الأصلي لأوروك كان جنوب غرب مجرى نهر الفرات القديم، الذي جف لاحقاً، بينما يقع موقع الوركاء الحالي شمال شرق نهر الفرات الحديث. أدى هذا التغيير الجغرافي على الأرجح إلى تدهور مكانة أوروك.

الفترات التاريخية لأوروك

اكتشف علماء الآثار عدة طبقات لمدينة أوروك، مُمثلةً مراحلها التاريخية على التوالي:

- أوروك XVIII: فترة إريدو (حوالي 5000 قبل الميلاد) — تأسيس أوروك
- أوروك XVIII-XVI: العصر العبيدي المتأخر (4200-4800 قبل الميلاد)
- أوروك XVI-X: العصر المبكر لأوروك (3800-4000 قبل الميلاد)
- أوروك IX-VI: العصر الوسيط لأوروك (3400-3800 قبل الميلاد)
- أوروك V-IV: العصر المتأخر لأوروك (3100-3400 قبل الميلاد) — تشييد أول معابد ضخمة لحي إي-آنا
- أوروك III: عصر جمدة نصر (2900-3100 قبل الميلاد) — تشييد السور المحيط بالمدينة بطول 9 كيلومتر
- أوروك II
- أوروك I